الشخصية والفردية

للاستاذ محمد محمد علي

كلمتان كثيرا مايخلط بينهما ، فتستعمل إحداهما فى موضع الأخرى ، وفى الوقع أن هناك اختلافا بينهما .

فالقدماء الأقدمون أن الشخصية personality شىء لا يمكن إدراك كنهها أو تحليلها . إنما هى مجموع صفات الفرد ، الموروثة والمكتسبة ، فتشتمل على شكله الظاهرى ودرجة ذكائه وثقافته واستعداداته ومواهبه ، والمثل الذى يستهدف اليها ، والمبادىء التي يعتنقها ، والعادات التى يكتسبها ، كل تلك العناصر والمقومات تؤلف الشخصية (١) . وأحدث تعريف للشخصية هو أنها نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية ، التى تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تميزا بينا . وللشخصية جانبان : جانب ذاتى يعبر عنه بالانية le moi أى شعور الشخص بذاته ، وهذا الشعور يتطور من الشعور بالذات الجسمية فالنفسية والاجتماعية . والجانب الآخر موضوعى ، ويعرف بالخلق character وهو نظام متكامل من السمات والميول النزوعية تتيح للفرد أن يسلك — إزاء المواقف الخلقية وأوضاع العرف — سلوكا متفقا مع ذاته ، على الرغم مما يواجهه من عقبات (٢) .

ومن دلائل النضج العقلى تكامل الشخصية ، وهو عبارة عن تضامن مقوماتها المختلفة وتوافقها وتضافرها وانتظامها ، حتى يكون سلوك الفرد ثابتا متزنا لا تنافر بين مظاهره ، الأمر الذى يجعل الفرد يتكيف مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه . ويساعد على تكامل الشخصية (٣) ؛ التربية الرشيدة مع التوجيه السديد فى بيئة منظمة تكفل حياة هادئة . وليس أضر بتكامل الشخصية من التربية الفاشلة القاسية حينا ، والمتساهلة أحيانا ، مما يميت فى الطفل قوة الاعتماد على نفسه ، فى بيت محطم انعدم الانسجام بين أفراده .

وليس من شك فى أن الشخصية خير مقياس لنمو الفرد ، ومكانته فى المجتمع .

أما الفردية individuality فهى صفة أو ميزة للفرد ، وهى أن يسلك الفرد سلوكا يختلف عن سلوك غيره . فلا يتأثر بالغير إلا قليلا ، وقلما يطيع العادات أو ينقاد إلى التقاليد . ذلك أن تأثره بالبيئة يكون مبنيا على فهم وتبصر بالغرض من سلوكه . وحتى لو اتبع أمرا اتبعه غيره ، فانما يفعل ذلك عن عقيدة ودراسة وليس طاعة أو تقليدا أعمى . ولا شك أن الحياة البدائية تعوق الفردية بتقاليدها الموروثة الجامدة التى تتبع النظام الطوطمى Toremism (والطوطم مجموعة أشياء مادية ينظر اليها البدائى نظرة الاجلال والاحترام يتخذها رمزا للأب أو الجد الأعلى وتحميه من الاخطار) واللاماسات tapoo ، وهى تحريمات وقيود تفرض بازاء إنسان

(١) دكتور أحمد عزت راجح : مشاكل الشباب النفسية (١٩٤٥) ص ١٦ .

(٢) القاموس الملحق بكتاب الدكتور يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام . (١٩٤٨) .

(٣) مجلة علم النفس : مجلد ٣ عدد ١ (يونية ١٩٤٧) ص ١٠٨

محدثين ، وكان أبو عمرو يقول : لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته (١)

قال المبرد : ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كلاما يستحقه (٢)

وأنكر ابن المعتز عصبية هؤلاء النقاد للشعر القديم وذمهم لشعر المحدثين ، وقال إنها عيب قبيح ، ومن فعل ذلك فانما غض من نفسه وجعل هذا ناشئا عن جهل بنقد الشعر وتمييزه . (٣)

وكان الجاحظ هو السابق إلى إقامة نقد الشعر على أسس فنية خالصة ، وحارب هذا التعصب المقوت للقديم لقدمه ، وآراؤه فى ذلك كثيرة فى « البيان والتبيين » و « الحيوان » وسواهما ، ففى « الحيوان » ينكر الجاحظ على المتعصبين للقديم فعلهم ويقول : ولو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان وفى أى زمان

(للكلام بقية) محمد عبد المنعم خفاجى

(١) ٧ و ٨ الشعر والشعراء

(٢) ١٨ / ١ كامل المبرد (٣) ١٧٥ و ١٧٦ : أخبار أبى تمام للصولى